

كلايات كليلة ودمنة

1

ففي خدامة الأسد

قلم : ا. عبد الحميد عبد المقصود

ريشة : ا. عبد الشافي سيد

رافد : ا. حسيدي مصطفى



المؤسسة العربية الحديثة

للتعليم والنشر والتوزيع

11431111 - القاهرة - 11431111

فلسطين - غزة

جلس الملك (دبشليم) يُنصتُ باستمّاعٍ إلى حديثِ وزيره ومُسْتَشَارِهِ
 الْحَكِيمِ (بَيْدَبَا) الْفَيْلَسُوفِ ..
 وَأَخَذَ (بَيْدَبَا) يُحَدِّثُهُ عَنِ الصَّدَاقَةِ وَالْأَصْدِقَاءِ ، وَحَقُوقِ كُلِّ صَدِيقٍ عَلَى
 صَدِيقِهِ ، وَوَأَجِبَاتِهِ نَحْوَهُ ، حَتَّى تَدُومَ الصَّدَاقَةُ بَيْنَهُمَا ..
 وَكَيْفَ أَنْ الصَّدِيقَ الْحَقِيقِيَّ - إِذَا أَخْلَصَ لِصَدِيقِهِ يَكُونُ أَصْنَفِي مِنَ
 الْأَخِ الشَّقِيقِ ، وَيَحِقُّ لِلإِنْسَانِ أَنْ يَأْتَمِنَهُ عَلَى أَدْقِ أَسْرَارِ حَيَاتِهِ ؟
 وَلِمَاذَا يَتَعَيَّنُ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يُدَقِّقَ فِي اخْتِيَارِ أَصْدِقَائِهِ ، لِأَنَّ الصَّدِيقَ
 الْخَيْرَ يَهْدِي إِلَى طَرِيقِ الْحَقِّ ؟
 وَكَيْفَ أَنْ الصَّدِيقَ الْمُخْلَصَ يَكُونُ كَالْعَمَلَةِ النَّادِرَةِ الَّتِي تَزْدَادُ قِيَمَتُهَا
 عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ ، وَلِذَلِكَ لَا يَنْبَغِي التَّفْرِيطُ فِيهَا بِسُهُولَةٍ ؟



فلما انتهى (بيدينا) الفيلسوف من كلامه نظر إليه (دبشليم)
الملك قائلاً :

- قد تحدثت فأجدت الحديث عن الصداقة والأصدقاء ..
والآن أريد منك أيها الحكيم أن تضرب لي مثلاً لصديقين
حميمين متحابين ، يوقع بينهما حاسد كذوب مُحْتال ، حتى
تتحول صداقتُهُما إلى شَحْناء ، وعداوة وبغضاء ..

فقال (بيدينا) الفيلسوف :

- إذا أوقع شخص حاسد كذوب مُحْتال بين صديقين
حميمين متحابين ، أحال صداقتُهُما ومحبتُهُما إلى
عداوة وبغضاء ، وأثار بينهما الشَحْناء ، فتنقطع
صداقتُهُما ، ويتحول كلُّ منهما إلى عدوٍّ للآخر .. وأنا
أضرب لك مثلاً لذلك في قصة ، عسى أن تكون فيها
العظة والعبرة ..

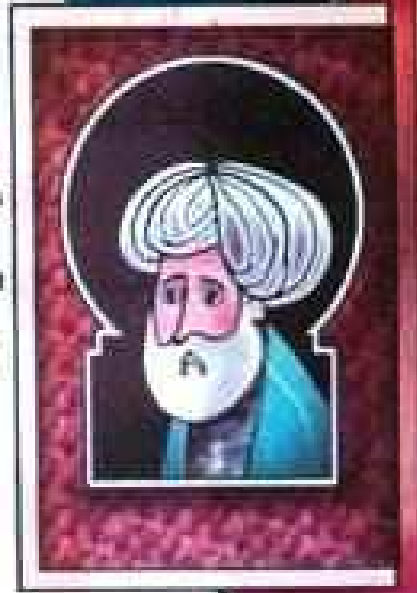


مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ كَانَ لِرَجُلٍ ثَلَاثَةُ أَبْنَاءٍ ..
كَانَ الرَّجُلُ قَدْ صَارَ شَيْخًا ، وَكَانَ لَهُ مَالٌ كَثِيرٌ ..
وَكَانَ أَبْنَاؤُهُ قَدْ بَلَغُوا سِنَّ الرُّشْدِ ، وَبِرَغْمِ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ
أَحَدُهُمْ قَدْ احْتَرَفَ حِرْفَةً ، أَوْ تَعَلَّمَ صَنْعَةً يَتَكَسَّبُ مِنْهَا ،
فَأَخَذُوا يُنْفِقُونَ مِنْ مَالِ آبِيهِمْ ، حَتَّى كَادُوا
يُفْئِنُّونَهُ ..

فَلَمَّا رَأَى الْآبُ أَبْنَاءَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ ، لَمْ
يُعْجِبْهُ مِنْهُمْ ذَلِكَ ..

وَلِذَلِكَ جَمَعَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ :

- إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ عَاقِلٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ ، عَلَيْهِ أَنْ
يَسْعَى إِلَى تَحْقِيقِ ثَلَاثَةِ أَهْدَافٍ :
سَبْعَةٌ فِي الرِّزْقِ ، وَمَنْزِلَةٌ مُحْتَرَمَةٌ بَيْنَ
النَّاسِ ، وَعَمَلٌ خَيْرٌ مِنْ أَجْلِ الْآخِرَةِ ..



فقال الابن الأكبر :

- صدقت يا أبى .. هذا ما يجب أن يسعى إليه كل عاقل فى هذه الحياة ..

واستمر الأب قائلاً :

- ولكى يحقق المرء هذه الأهداف فإن عليه أربعة واجبات يجب أن يقوم بها : اكتساب المال بالحلال .. ثم استثمار هذا المال وحسن القيام عليه حتى يتمو .. ثم إنفاقه فيما يصلح المعيشة ، ويقوم بحاجة الأهل والإخوان والمحتاجين ، فيعود عليه نفعه فى الدنيا والآخرة ..

فقال الابن الأوسط :

- هذا حق يا أبى ..





وأضاف الأب شارحاً :

- فمَنْ لَا يَعْمَلُ لَنْ يَكُونَ لَهُ مَالٌ يَعِيشُ مِنْهُ .. وَمَنْ اكْتَسَبَ الْمَالَ ،
وَلَمْ يُحْسِنِ الْقِيَامَ عَلَيْهِ ضَاعَ الْمَالُ ، وَبَقِيَ صَاحِبُهُ بِلاَ مَالٍ ..
وَمَنْ اكْتَسَبَ الْمَالَ وَلَمْ يَسْتَنْمِرْهُ حَتَّى يُنْمِيَهُ وَيُكْثِرَهُ ، نَقَدَ الْمَالَ حَتَّى
وَلَوْ كَانَ يُنْفِقُ مِنْهُ بِحِرْصٍ وَحَذَرٍ .. وَمَنْ كَانَ لَهُ مَالٌ وَلَمْ يُنْفِقْهُ
مِنْ أَجْلِ نَفْعِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، كَانَ كَالْفَقِيرِ الْمُعْدِمِ ، الَّذِي لَا مَالَ لَهُ ..
فَقَالَ الْإِبْنُ الْأَصْغَرُ :

- قَدْ أَحْسَنْتَ يَا أَبِي .. يَجِبُ عَلَيَّ كُلِّ مِثْلٍ أَنْ يَبْحَثَ لِنَفْسِهِ عَنْ
مِهْنَةٍ يَتَكَسَّبُ مِنْهَا رِزْقَهُ .

وَقَالَ الْإِبْنُ الْأَكْبَرُ :

- أَنَا سَأَنْطَلِقُ إِلَى أَرْضِ (مِيون) لِأَجْرَبَ حَظِي هُنَاكَ ..

فَوَافَقَهُ الْأَبُ ، وَدَعَا لَهُ بِالسَّلَامَةِ وَالرِّزْقِ ..

تجهز الابن الأكبر للسفر ، وأطلق مع بعض أصدقائه
في مركبة يجرها ثوران ، أحدهما كان يسمى (شثربة)
والآخر كان يسمى (بديّة) ..

ومرت المركبة في طريقها بمكان موحل ، فيه طين كثير
لرج ، فغاصت أقدام (شثربة) في الطين وسقط فيه ..
وحاول الابن الأكبر وأصدقاؤه أن يخرجوا الثور من
الطين ، فلم يفلحوا .. ولما يتسوا من ذلك ، قال الابن
الأكبر لأحد أصدقائه :

- سنمضي نحن في طريقنا بالمركبة بثور واحد
هو (بديّة) وتبقى أنت هنا لحراسة الثور (شثربة)
حتى يجف الطين من حول أقدامه ، فتخرجه
وتلحق بنا في
(ميون) ..



وَأَنْطَلَقَ الْإِبْنُ الْأَكْبَرُ بِالْمَرْكَبَةِ مَعَ بَقِيَّةِ أَصْدِقَائِهِ ، بَيْنَمَا بَقِيَ
ذَلِكَ الصَّدِيقُ الَّذِي عَيْنُهُ لِحِرَاسَةِ ثَوْرِهِ (شِثْرَبَةَ) ..
فَلَمَّا بَاتَ الصَّدِيقُ لَيْلَتَهُ فِي حِرَاسَةِ الثَّوْرِ ، شَعَرَ بِالضَّيْقِ
وَتَبَرَّمَ مِنْ وَحْشَةِ الْمَكَانِ ، فَتَرَكَ الثَّوْرَ فِي الْوَحْلِ ،
وَأَنْطَلَقَ ، حَتَّى لَحِقَ بِالْإِبْنِ الْأَكْبَرِ وَأَصْدِقَائِهِ ، فَاخْبَرَهُمْ
أَنَّ الثَّوْرَ قَدْ مَاتَ ..

أَمَّا الثَّوْرُ (شِثْرَبَةَ) فَإِنَّهُ عِنْدَمَا وَجَدَ نَفْسَهُ وَحِيدًا بِلَا
أَنْيَسَ أَوْ رَفِيقٍ ، أَخَذَ يُجَاهِدُ مُحَاوَلًا حَتَّى اسْتَطَاعَ
أَنْ يُخَلِّصَ أَقْدَامَهُ مِنَ الطِّينِ اللَّزْجِ .. ثُمَّ أَنْطَلَقَ
يَبْحَثُ عَنْ طَعَامٍ ، فَوَجَدَ مَرَّجًا وَاسِعًا فِيهِ عُشْبٌ
أَخْضَرٌ ، وَجَدُولٌ مَاءٍ عَذْبٌ ، فَاخَذَ يَأْكُلُ حَتَّى شَبِعَ ،
ثُمَّ شَرِبَ ، حَتَّى ارْتَوَى ..



وَأَقَامَ (شُتْرِبَةً) فِي الْمَرْجِ حَتَّى سَمِنَ وَأَمِنَ مِنَ الْخَوْفِ ..

ثُمَّ أَخَذَ يَخُورُ وَيُرْفَعُ صَوْتَهُ بِالْخُورِ ..

وَكَانَ قَرِيبًا مِنَ الْمَرْجِ غَابَةٌ صَغِيرَةٌ ، فِيهَا أَسَدٌ ضَخْمٌ عَظِيمٌ
الْهَيْبَةُ ، وَقَدْ انْتَفَتَحَتْ حَوْلَهُ السَّبَاعُ وَالذَّنَابُ وَالشَّعَالِبُ وَالْفُهُودُ
وَالنَّمُورُ وَبَنَاتُ أَوَى وَغَيْرُهَا مِنَ الْحَيَوَانَاتِ الصَّوَارِي وَالْوَحُوشِ
الْكَوَاسِرِ ..

وَكَانَ الْأَسَدُ مُلْكًا عَلَى كُلِّ هَذِهِ الْحَيَوَانَاتِ ، بِأَمْرٍ وَيُنْهَى كَيْفَ
شَاءَ ، وَالْجَمِيعُ يَأْتَمِرُونَ بِأَمْرِهِ وَيَطِيعُونَهُ خَوْفًا مِنْهُ ، وَيَأْتُونَهُ
بِطَعَامِهِ كُلَّ يَوْمٍ خَوْفًا مِنْهُ ..



وكان الأسد مقيماً في منزله ، لا يبرحه أبداً ، ولم يكن قد رأى
ثوراً قبل ذلك ، ولا سمع صوته ، فخاف في نفسه ، وتعجب من
هذا الصوت الغريب المدهوي الذي سمعه ، لكنه لم يحاول أن
يظهر ذلك لمن حوله من الوحوش ، حتى لا تحتقر جهله ، ولا
تعود تهابه ..

وكان من جملة خدام الأسد وأتباعه المخلصين
حيوانان من بنات أوى ، أحدهما هو (كليلة) والآخر
هو (دمنة) ..

كان (كليلة) و (دمنة) لا يبرحان باب الأسد ، وكان
كل منهما ذا دهاء وذكاء ، وعلم وحكمة ..



فقال (دمنة) لأخيه (كليلة) :

- ألم تلاحظ يا أخي أن الأسد مقيم باستمرار
في منزله ، لا يبرحه أبداً ؟ يجب أن ننصحه بالخروج
من منزله حتى يرى الدنيا ..

فقال له (كليلة) مستنكراً :

- من نكون نحن حتى نسأل هذا السؤال ، وتحدثت
فيما يجب على ملكنا أن يفعله أو لا يفعله ؟ لستنا
وزيرين ولا مستشارين مقربين من الأسد ، حتى نناقش
هذا الأمر .. ما نحن إلا خادمين مطيعين ، وحارسين
يقظين بباب الملك ، نفعل فقط ما يأمرنا به ..
فقال (دمنة) :

- أعرف ذلك يا أخي ، ولكن على المرء أن يسعى
ليرتفع من منزلته الوضيعة ، إلى منزلة رفيعة ، يسر بها
الصديق ، ويكيد العدو ..



فَقَالَ (كَلِيلَةَ) نَاصِحًا :

- إِنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مَنْزِلَةً وَقَدْرًا وَشَأْنًا ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَقْنَعَ بِهَا ، لِأَنَّ
مَنْ نَظَرَ إِلَى مَنْ هُوَ أَعْلَى مِنْهُ أَتْعَبَ نَفْسَهُ ، وَنُغْصَ عَيْشَهُ ..
فَقَالَ (دِيمْنَةَ) :

- كَمْ مِنْ وَضِيعٍ ارْتَفَعَ إِلَى أَعْلَى الْمَرَاتِبِ ، وَكَمْ مِنْ رَفِيعِ الْمَقَامِ
هُوَ مِنْ عَلَيَّاتِهِ .. الْمَرْءُ يَا أَخِي تَرْفَعُهُ مَرْوَعَتُهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ
الْوَضِيعَةِ إِلَى الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ .. وَمَنْ لَا مَرْوَعَةَ
لَهُ يَحُطُّ نَفْسَهُ مِنَ الْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ إِلَى
الْمَنْزِلَةِ الْوَضِيعَةِ .. وَنَحْنُ بِمَرْوَعَتِنَا أَحَقُّ
بِالْمَنْزِلَةِ الرَّفِيعَةِ ..
فَقَالَ (كَلِيلَةَ) :

- تُرِيدُ أَنْ تَتَقَرَّبَ مِنَ الْأَسَدِ ، حَتَّى
يُقَلِّدَكَ مَنْصِبًا رَفِيعًا ، أَوْ يَجْعَلَكَ
أَحَدَ مُسْتَشَارِيهِ ؟
وَقَالَ (دِيمْنَةَ) :

- هَذِهِ فُرْصَتُنَا ، وَيَحِبُّ أَلَّا نُضَيِّقَهَا ..



فقال (كَلِيلَةُ) مُسْتَنْكِرًا :

- كَيْفَ تَطْمَعُ فِي ذَلِكَ ، وَلَسْتَ بِصَاحِبِ سُلْطَانٍ

أَوْ مَرْكَزٍ كَبِيرٍ ؟!

وقال (دِمْنَةُ) :

- الرَّجُلُ الشَّدِيدُ الْقُوَى لَا يُعْجِزُهُ الْحِمْلُ الثَّقِيلُ .. الْمُهْمُ

أَنْ أَكُونَ قَرِيبًا مِنَ الْأَسَدِ ..

فقال (كَلِيلَةُ) ناصحًا :

- ثَلَاثَةُ أُمُورٍ لَا يَجْرُؤُ عَلَى الْإِقْدَامِ عَلَيْهَا إِلَّا أَهْوَجُ ،

وَلَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا قَلِيلٌ : صُحْبَةُ السُّلْطَانِ ، وَائْتِمَانُ الْأَحْمَقِ

عَلَى الْأَسْرَارِ ، وَالْإِقْدَامُ عَلَى شَرْبِ السَّمِّ لِتَجْرِبَتِهِ ..

فقال (دِمْنَةُ) :

- صَدَقْتَ ، لَكِنَّ الرَّجُلَ الْفَاضِلَ لَا يَجِبُ أَنْ يَرَى

إِلَّا فِي أَحَدٍ مَكَانَيْنِ : إِمَّا مَعَ الْمُلُوكِ مُكْرَمًا ، وَإِمَّا مَعَ

الْمُتَّقِينَ مُتَعَبِدًا لِلَّهِ وَذَاكِرًا ..



وحاولَ (كَلِيلَةَ) جَاهِدًا أَنْ يَرُدَّ أَخَاهُ (دِمْنَةَ) عَنْ رَغْبَتِهِ
فِي التَّقَرُّبِ مِنَ الْأَسَدِ وَمُصَادَقَتِهِ ، لَكِنْ (دِمْنَةَ) جَعَلَ أَدْنَى مِنْ
طِينِ ، وَأَدْنَى مِنْ عَجِينِ ، فَلَمْ يَسْتَمِعْ إِلَى نُصْحِهِ ، وَأَنْطَلَقَ إِلَى
دَاخِلِ الْمَنْزِلِ لِلِقَاءِ الْأَسَدِ ..

اسْتَأْذَنَ (دِمْنَةَ) وَدَخَلَ عَلَى الْأَسَدِ ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ
الْأَسَدُ مُسْتَتَكِرًا ، وَنَظَرَ إِلَى بَعْضِ جُلَسَائِهِ قَائِلًا :
- مَنْ هَذَا الشَّخْصُ ؟!

فَأَجَابَهُ أَحَدُ جُلَسَائِهِ قَائِلًا :

- إِنَّهُ (دِمْنَةُ) ابْنُ فُلَانٍ ..

فَالْتَفَتَ الْأَسَدُ إِلَى (دِمْنَةَ) قَائِلًا :

- كُنْتُ أَعْرِفُ أَبَاكَ .. أَيْنَ أَنْتَ الْآنَ ؟



فقال (دمنة) :

- أنا من خدامك المخلصين أيها الملك العظيم ، ولذلك فأنا
ملازم لبيابك ليلاً نهاراً ، رجاء أن تحتاج إلي في أمر خطير أو مشورة ،
فأعينك فيهما برأيي ، أو أبدل لك نفسي ..

فظن الأسد أن لدى (دمنة) نصيحة أو رأياً مفيداً جاء يُشيرُ
عليه به ، ولذلك التفت إلى جلسائه قائلاً :

- إن العالم الحق ، ذا المروعة والمشورة والرأي غالباً ما يكون
مغموراً ، لا يعرفه أحد ، لكن يبدو أن منزلة (دمنة) قد أن لها
الأوان ، حتى تعلو وترتفع ..

فلما أدرك (دمنة) أن الأسد قد أعجب به قال :

- هذا يزيدني إصراراً على خدامك أيها الملك ، وثق بأنني لن
أقصر في ذلك الرأي النافع والمشورة الصادقة لك ..
فقال الأسد :

- هذا ما أمله ..



وَيَبْدُو أَنْ (دِمْنَةَ) قَدْ رَأَى نَظْرَاتِ الْحَسَدِ فِي أَعْيُنِ الْحَاضِرِينَ ،
فَأَرَادَ أَنْ يُعَرِّفَهُمْ أَنْ مَا نَالَهُ مِنْ إِحْرَامِ الْمَلِكِ لَهُ ، يَرْجِعُ إِلَى عِلْمِهِ
وَعَقْلِهِ ، وَلَيْسَ لِأَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ أَبَاهُ فَقَالَ :

- إِنَّ الْمَلِكَ لَا يُقَرِّبُ النَّاسَ مِنْهُ لِمَعْرِفَةِ آبَائِهِمْ وَقُرْبِهِمْ
مِنْهُ ، لَكِنَّهُ يَنْظُرُ إِلَى كُلِّ رَجُلٍ بِمَا عِنْدَهُ ، وَبِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ ..

وَيَنْظُرُ إِلَى مَدَى مَا يَبْذُلُهُ لَهُ مِنْ رَأْيٍ صَائِبٍ وَمَشُورَةٍ نَافِعَةٍ .

فَلَمَّا انْتَهَى (دِمْنَةَ) مِنْ كَلَامِهِ ، زَادَ الْأَسَدُ فِي إِحْرَامِهِ ،

وَقَرَّبَهُ مِنْهُ فِي مَجْلِسِهِ ، وَأَعَدَّ عَلَيْهِ الْهَدَايَا ، وَأَصْبَحَ

يَسْتَشِيرُهُ فِي كُلِّ أَمْرِهِ ، وَلَا يَسْتَعْنِي عَنْ مَجَالِسَتِهِ ..

وَهَكَذَا التَّحَقَّقَ (دِمْنَةَ) بِخِدْمَةِ الْأَسَدِ ، فَكَيْفَ سَارَتِ الْأُمُورُ

مَعَهُ ؟! وَهَلْ يُوَفِّقُ فِي بَدْلِ الرَّأْيِ وَالْمَشُورَةِ لِلْأَسَدِ ، أَمْ أَنَّهُ

سَيَكُونُ لَهُ رَأْيٌ آخَرُ ؟!

(تَمَّتْ)

الكتاب القادم : الأسد والثور

رقم الإصدار : ٣٧٤٠

الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٩٩٥ - ٣١٤ - ٥٧١

